ذبح الدجاج

* ١ *

تنهدت من اعماقها ، و تمتمت .

- أحان الموعد يا أحسان ؟ ما علهش ....راحت علينا يا خسارة ...

ثم مسحتها بنظرة جانبية شاملة ، و هى تتجه الى المطبخ فرأتها تتألق فى ردائها الازرق الجديد و يداها تمسحان على شعرها الاسود الطويل ، فهزت رأسها متحسرة ، و اخذت تترنم بصوت خافت : " اروح لمين ، و اقول يا مين ينصفنى منك " و رفعت غطاء الاناء ، و نظرت ما فيه فراته يهدر و يفور فضمت شفتيها و نفخت بكل قوتها لتزيح البخار المتصاعد عن وجهها ، ثم مدت يمناها ، و اطفأت الموقد ، فساد السكون فجأة ، فقالت متأففة :

- صوتك مزعج يا شيخ ....يا ستار عليك

ثم تذكرت احسان فغسلت يديها ، و خلعت ميدعتها و علقتها على مشجب هناك ، و أسرعت الى غرفتها ، فهالتها أختها بروعتها و رشاقتها فراحت تترنم بأبتسام و أصابع يديها تطرقعان فى الهواء : " جميل جمال ....مالوش مثال "

- حذار و الا صدقتك ....

و رمقتها من جانب عينيها الواسعتين

- لا تصدقيننى .....أليس كذلك ؟ على اية حال انظرى الى المراة و ستعرفين حقاً صدق ما أقول ....انظرى ....

و امسكت براسها بين يديها فى رقة ، ووجهته الى المراة و قالت فى مداعبة مرحة :

- المراة تتحدث أحسن منى ، ماذا هى " يا ست مراية ؟" ..

و ثنت رقبتها ، و ارهفت اذنيها ، و كانها تنصت حقا الى همس خفيض :

- هل سمعت ما تقوله المراة ؟

تضاحكت احسان ، و قد انصرف خجلها الى يديها فى مداعبة لا تعنى شيئا مع المشط

- و ماذا قالت المراة ؟
- تقول انك اجمل من الجمال و احلى من السكر
- لا يا شيخة .....

و حملقت فى المراة ضاحكة ، و كأنها تتحقق من حسنها و قد ألتمعت عيناها فى سرور يهيج و قلبها يخفق بين اضلعها خفق سعادة و ابتهاج

- فى نفس المكان يا احسان ؟

قالتها فوزية و هى تبتعد عنها بظهرها و يداها الكبيرتان الجافتان تصلحان من ملاءة السرير

- طبعا ....مكان السعادة لا يمكن ابدا تغييره
- اه يا شقية

ثم مستطردة :

- اذكرينا مع المحبوب

و التفتت اليها :

- هذا اذا لم تغب عنك الذاكرة طبعا.....
- اتعرفين يا فوزية ؟

و نظرت اليها محدقة و قد فرغت من زينتها :

- ما هى اجمل و اروع المنح الالهية للانسان ؟
- الجمال طبعا ....
- فى رأيى أنا ....الحب
- الحب ؟؟!!
- نعم – اه يا رب – انه لذيذ و رائع تحسينه فى كل كيانك فتشعرين بكل طيور السعادة تغرد لك و ترفرف من حواليك...
- لا يا شيخة ....و الله عال ....كل هذه الاشياء فى الحب
- و اكثر ....و اكثر يا فوزية ....احساس لذيذ ....

لا استطيع ان اصفه لك ابدا فلابد ان تحسيه حتى تعرفيه ....

- طيب يا ست احسان ....لقد تحولنا الى فلاسفة و شعراء على اخر الزمان .....

- سوف ادعو لك الان باحسن الدعوات
- ادعى يا شيخة " ورانا ايه "
- يا رب امنح اختى فوزية الحب و الراحة .
- من قلبك يا احسان صحيح ؟
- من قلبى و الله يا فوزية ....صدقينى ....

و تمدد بينهما سكون صغير ، اجفله صوت الام هاتفا :

- يا احسان الفراخ ماتت من الجوع فوق ...اطلعى اكليهم

دقت الارض بحذائها الصغير ....رفعت صوتها فى غضب تمثيلى :

- يا سلام يا ماما يا سلام .....يعنى اكل الفراخ (حبك) الساعة

ثم بصوت مرتفع :

- فوزية طالعة تأكلهم يا ماما

رن صوت أمها من جديد ....

- و أنت على دماغك الريشة الذهب ....أختك طول النهار تعبانة و تخدم فى البيت .....
- يا ماما ....انا خارجه اذاكر مع ليلى ....

ردت فوزية فى استسلام حسما لجدال عقيم ....تعرف فيه ان الدائرة ستدور و تقف عندها حتما

- انا طالعة (االكلهم) يا ماما
- اشكرك يا فوزية ....يا احسن اخت فى الدنيا كلها

ثم استدارت نحو المراة . تلقى نظرة اخيرة على زينتها و يداها تتحسسان عجيزتها

- سأخرج يا فوزية ....
- مع السلامة يا حبيبتى ....

و أمسكت برأسها فى رقة ناعمة حتى لا تفسد عليها زينتها و قبلتها فى شفتيها ....

- متشكرة يا أحسن اخت " باى ....باى " ...

* ٢ *

نظرت حولها متنهدة أحست بضياع مخيف يلفها كدخان كثيف فشعرت من ثم بقلبها يغوص فى أعماق الحزن ...

- يا رب ...راحة القلب لاشىء أطلب سواها ....يا رب....

اتجهت الى النافذة . فتحتها . اطلت منها . كان الشارع طويلا كما لو كانت تراه لاول مرة ، يبدو غاصا بالناس و الحركة و السيارات تتزاحم فيه ، و تضج بأصواتها السخيفة ، و رأت اختها تكاد تتوه – هناك – وسط الزحام لكنها تابعتها بعينين فاحصتين و هى تتحرك بين الناس خفيفة كالقط تخطر فى مشيتها كما الغزال حتى انحنت الى شارع جانبى غيبها فى داخله فقالت فى نفسها و هى لم تزل ترتفق حافة النافذة :

- جميلة ....لكن ساقيها عجفاوتان

و مطت شفتيها ، و هزت راسها ، و غادرت مكانها من النافذة ، و توجهت الى المراة و كانها تذكرت شيئا قد غاب عنها و رفعت ذيل جلبابها القذر الى ما فوق ركبتيها و راحت تنظر خلفها الى ساقيها الممتلئتين و تتحسسهما فى اعجاب مشدوه و تقارنهما بساقى اختها ثم تبتسمت ، و قالت بصوت هامس :

- جميلتان ....يا فوزية ....رائعتان ...لقد صدقت ايها الفتى يا من قابلتنى فى طريقى ، و مدحت سيقانى ...انى مازلت احفظ كلماتك و لن انساها (و الله اجمل " رجلين ") ... اجمل " رجلين " و اروع ساقين ...صدقت ...صدقت يا من لم ترك عيناى ، و لن تراك .... و انحنت الى المشط تلتقطه ، و راحت تصفف به شعرها الممزوج القصير و تغطى به اذنيها الكبيرتين ....ابتعدت عن المراة و اخذت تتحسس بيديها وجهها الشاحب الجاف الذى بدأ فى هذه اللحظة هادئاً مصفراً قالت تناجى نفسها :

- شعرى جميل ، و لو سمح ابى لذهبت الى (الكوافير) كما تفعل ابنة عمى (مديحة) و لرجعت عندئذ بأجمل تسريحة تذرى تماماً بشعر احسان .....ثم حدقت الى صورتها فى المراة ....و تابعت كلماتها :

- و مع ذلك فانا السبب ....فانا مهملة .....

و سكتت قليلا ريثما تبتلع ريقها ....

- ابدا ....فلو كنت امتلك مزيدا من الوقت لاهتممت بشعرى ، و قمت بتمشيطه فى كل ساعة كما تفعل احسان ....

و هزت راسها و استطردت فى هدوء ....

- ثم انى اتميز عنها فى ذات الوقت بميزة الطول و الحوض الواسع ، اللذين ينقصانها حقا ....

و لم تتوان و امسكت بردائها و ضمته من ناحية الوسط فبرز فى التو نهداها الكبيران ، و بان حوضها الضخم تحت خصر نحيل ، و التفتت الى الخلف تنظر بعينها جميعا الى ردفيها الثقيلين ، و قد استكانا فى دائرة مشقوقة ، أشبه شىء بكرة هائلة تتعلق فو قمة ساقيها الممتلئتين ....

- يخرب عقلك يا فوزية (ايه الحلاوة دى يا بت)

و ضربت بكفها على ردفيها فى سرور :

- منك لله يا بعيدة ...واقفة هنا قدام المراة و الفراخ فوق السطح تصرخ من الجوع .... يعنى لابد من تذكيرك كل ساعة يا فوزية ....يا ستار عليك يا شيخة .....و كانت هى امها دخلت الغرفة عليها فجأة و لمحتها تمعن النظر فى المراة و تتحقق من فتنتها و زفرت زفرة طويلة كما تفعل كل أم فى هذه اللحظات

- ربنا يرزقك بأبن الحلال....

ارتبكت ....اهتزت ....ظنت ان امها قد قبضت عليها و هى تفكر فى نفسها فخجلت و قالت بأستكانة :

- انا طالعة يا ماما ....طالعة

وضعت قدميها فى داخل الشبشب . توجهت الى المطبخ ، ثم غابت قليلا فيه و عادت تفتح باب الشقة ، فى ضجر غاضب ، حاملة بين يديها طعام الدجاج ، وراحت تصعد السلم فى تأن و ضيق ، حتى اذا أتمت صعودها ، وقفت تلهث و تتحسس ظهرها بيسراها ، و قالت تتنهد :

- يا تعبى كل يوم ....يا تعبى ....

و ما ان شاهدتها الدجاجات ، تحمل بين يديها طعامها حتى هرولت إليها صائحة تتقافز من حولها فقفزت " احسان " قفزة عالية ، تقصد الطبق الذى فى يدها بينما اسرعت " فوزية " فى اعقابها تجرى ، و تقفز نحوها هى الاخرى بينما ظل " فؤاد و حمدى " يتصايحان ، و يلفان حواليها فتضاحكت و راحت ترف الاناء و تخفضه فى مداعبة مرحة و الدجاجات تصيح و رؤوسها الصغيرة تلف و ارجلها القصيرة تحملها فى خفة وراء الاناء ، الذى يحاورها صاعداً ، هابطاً حتى تمكنت " فوزية " بقفزة رائعة منها ، أن توقعه على الارض فهبطت عليه كلها فى نهم جائع ، تزدرده فى سرعة ، و كأنها فى مسابقة حمى وطيسها . تجولت بعينيها فيما حولها ، فلمحت تحت قدميها عصا صغيرة ، انحنت اليها و

التقطتها و راحت تعابث بها " فؤاد " الديك الاحمر الكبير ، و تضربه على عرفه الاحمر القانى ، فيجرى الديك منها صائحا لقد كان يحمل اسم اخيها الاكبر " فؤاد " و كانت الدجاجات كلها تحمل اسم كل فرد فى العائلة كما اسمتها امها و هى لم تزل كتاكيت بعد .

- آه يا مجرمة

قالتها بصوت مرتفع و مدت رجلها اليمنى و ركلت بها " احسان " الدجاجة السمينة ذات الريش البنى الجميل فوقع الديك الابيض ذو العرف الاحمر الكبير من على ظهرها و هو يصيح مبتعداً و كأنه يتوعد بينما جرت الدجاجة امامه ، تنزوى فى ركن بعيد ، تصيح و تقاقى و كأنها تستنكر

و اذ طال وقوفها . راحت تسلى نفسها بالنظر من فوق السطوح ، و تطل على الشارع الطويل المزدحم بالعربات و الناس بيد انها أحست بسأم هائل يسرى فى دمائها فينشر ألماً خفياً فى روحها ، حتى المناظر المألوفة التى اعتادتها و ألفتها كل يوم ، و التى كانت تحبها فيما مضى من الايام ، لم تعد كما هى الان و تمنت من صميمها لو تبدلت بغيرها و رفعت يدها بحركة لا تعنى شيئا سوى الضيق و السأم و شرد ذهنها بعيداً . " كانت تعود اليها بعد ما تقابله ، و تحكى لها الساعات الطويلة عما دار بينهما من حديث حتى اللمسات الصغيرة بينهما لم تكن لتنساها ابداً فتقصها عليها بكل وقائعها و دقائقها " .

- آه يا رب ....لماذا أفعمت قلبها بالفرح؟ ، و ملأت كأس حياتها بالحب حتى تشربها وحدها دهاقاً ....بينما أنا أظل أعيش بين أسرتى كخادم حبيس ، تعمل فى الصباح و المساء ، دونما شكوى أو ألم حتى الشهادة التى حصلت عليها بعد تعب جهيد ماذا أجدت على ؟ . نعم ما نفعك أنت يا شهادة الثانوية العامة يا من تقبعين فى صيوان ملابسى ، ورقة مسطورة بكلمات لاخير فيها .....أما انت يا احسان فمع انك لا تزالين تتمتعين بالكثير ، مما حرمت انا منه : تتمتعين بالنزق ، و الطيش مع اننى لا اكبرك – و الله – الا بثلاثة اعوام .....انت فى السابعة عشرة و انا فى العشرين و مع ذلك فأنا أختك الكبيرة – الكبيرة جداً – و تحمر عيناك لتحصلى على ما تريدين ....أما أنا فكيف ابكى و انا كبيرة عيب على البكاء .....لماذا ؟ لاننى كبيرة ....." عيب يا بنتى انت كبيرة " هذه كلماتك يا أمى ....انا كبيرة فعيب على البكاء ....أأنا كبيرة ؟ سامحتك رحمة الاله يا ست ماما ...ثم انك يا احسان قد اعفتك اسرتنا العادلة كثيراً من اعمال البيت التى سخرت انا لها تماماً ، اما عن خروجك فما اكثره .....لارقيب عليك ، و لا حسيب ...اما انا فلماذا اخرج؟ ، و ربما يأتى ابى و سيادته يحتاج الى ابداً ....لماذا ؟ لاعمل له قهوته . ثم انت يا احسان تحبين فتى جامعياً ، سيتخرج عن قريب : وسيم و غنى و من عائلة ....آه يا احسان حياتك حظ ،

فحظ ، اما قلبى فيزيد ان يخفق و لكن الاحزان قد باتت جزءا من دمائه فهو ابدا ينوء بالهم حتى " شاكر " أخ صديقتى (عفاف) تودد الى فرددته عن نفسى بغبائى الاحمق فما عاد و ما رانى الا ويلقانى بخشية و احترام

الناس تحترمنى لانى جادة و لكنى سئمت الاحترام اريد ان اكون مثلك يا احسان ....مثلك انت ايتها الطائشة يا من تحملين فى نفسك الفجور "

- فوزية ....يا فوزية ...

وردها النداء الزاعق ، مسرعا الى نفسها ، فقالت بصوت خافت مكروب :

- ابى حضر و يريد قهوته ....انا اعلم ذلك علم اليقين فنداؤك لى يا ست ماما لا يعنى الا شقائى و تعبى كلكم – يا ايها الظالمون – تستريحون لاتعب انا

و مسحت عبراتها بيديها

و قالت امها ، و هى تهبط السلم :

- لماذا تغيبت فوق ؟
- كنت اتفرج من فوق السطوح .....
- طيب تعالى اعملى القهوة لـ ...

قاطعتها بمرارة :

- بابا حضر
- نعم

فجمجمت فى نفسها ساخطة ....

- ينقصنى بعد ذلك ان اعلق فى ساقية لاديرها و اروى بها ارض اسرتى الظالمة

و جاء صوت والدها و هى فى المطبخ يناديها ...

- يا فوزية ....بنت يا فوزية ...
- الرحمة يا ناس ....انا انسانة مثلكم و الله ....

ثم بصوت مرتفع ....

- نعم يا بابا ....

و كانت تبكى ....و اقبلت اليه بخطوات مهرولة فراته جالسا على الاريكة بجلبابه الاخضر و منظاره فوق انفه بينما جلست امها عن يمينه فى استرخاء مريح و قد انسكب هدوء هائل على وجهها الابيض

- احضرى قلما و ورقة لاكتب خطابا لاخيك فؤاد

و علقت امها قائلة :

- اه و النبى " دا غيابه " طال و اشتاقت نفسى لرؤياه ....

حدقت فيها مليا ...." هذه انا : خادم .....خادم " ....

و دخلت غرفتها و رجعت اليه بقلم و ورقة

و قالت امها :

- لا تنسى ان تقلى البطاطس بعد القهوة

قال ابوها و هو يحدجها ببصر حديد من خلف منظاره :

- انت غبية يا بنت ، كيف اكتب و ليس هناك " ما اسند " عليه

و قالت امها :

- دعها تلاحظ القهوة لئلا تفور

- طيب (غورى) و انا اكتبه فى غرفتكم

و ارتدت الى المطبخ ساخطة و اعماقها تمور بغضب حبيس امسكت بيد الكنكة الخشبية ، و نظراتها الحزينة تطفو على سطح القهوة الذى اخذ يتعالى الان وئيدا فى صمت .... حتى اذا كادت تفور ....رفعتها عن راس الموقد المستعر وصبتها فى كوب صغير و ذهبت بها الى ابيها ثم عادت مرة اخرى الى المطبخ تقشر حبات البطاطس

- يكتب الخطاب فى غرفتنا

و قطب جبينها كانها تذكرت شيئا.....

- يا خبر ربما يفتش بين الكتب فيكتشف الصورة اللعينة ، فتقع الطامة ....و لكن ....لا

و اسرعت الى غرفتها و انتزعت الصورة من تحت الكتب المرصوصة و خبأتها تحت مرتبة السرير ، و عادت الى المطبخ مسرعة ....بيد ان فكرة عجيبة ومضت فى رأسها فجأة و جعلتها تسرع الى غرفتها مرة ثانية ، و قالت لنفسها فى صوت مبتهج مسموع :

- أعظم فكرة و الله .....يا سلام ....أما أنا بنت صحيح

ثم ضربت بيدها على جبينها مشجعة و ابتسمت فى سرور ، و نظرت حواليها و اخرجت الصورة بخفة و امسكتها بين كفيها و راحت تلقى عليها نظرة أخيرة فاحصة متمعنة

كانت الصورة (كارت بوستال) لأختها و حبيبها و قد وقفا متجاورين فى ابتسام و يداهما متلامستان فى حب و كان هو واقفا وسيما عليه سيماء الرجولة بينما وقفت اختها بجانبه و الفرحة تطل من وجهها المعبر الجميل ....

- يا سلام على الهيام ....يا سلام

و قلبت الصورة على وجهها فظهر فى التو قلب كبير كتب فوق قمته (معا الى الابد) كان القلب مرسوما بعناية و فى دخيلته رسم ايضا قلبان صغيران قد وشيت حوافيهما بالاحمر .... كتب على احدهما (احسان) و على الاخر (محمود) و عرفت خط اختها فى كلمة محمود ، و خط حبيبها فى (احسان) لقد تبادلا كتابة اسميهما معا فيالهما من عاشقين و ابتسمت من اعماقها و قالت فى سخرية :

- معا الى الابد .....لا ايها المدنفان بحبهما لن تكونا معا الى الابد . وضحكت .
- لا ...يا ابا حنفى ....ابحث لك عن عروس اخرى تكون معك الى الابد....

و امسكت بالكتب ، و رفعتها قليلا و اعادتها الى مكانها تحت اخر الكتب كما كانت ....بحيث ظهر طرف منها لا باس به يدل عليها و يظهرها بوضوح و دقت على المكتب براحة يمناها و قالت فى انتشاء :

- عاشت المساواة بعد اليوم

٣

وكرت الى المطبخ عائدة ، و قلبها يخفق بين جوانحها جذلانا ، و لكنها أحست فجاة فى دخيلتها انها فعلت شيئا ادا و انها اجرمت فى حق اختها فتعالت دقات قلبها مسرعة و قد اجتاحها خوف لم تدر مأتاه ، و جمدت فى رأسها الافكار فلم تتبين من فرط عصبيتها الطارئة أخيراً فعلت أم شراً ، بل ظل ذهنها مشغولا فى اللحظة الحاضرة بما فعلته ، و اثاره التى ستحدث فى الساعات القليلة القادمة .

كان الموقد ما زال مشتعلا ، و صوته الرتيب يفيض فى اعماقها خدرا لطيفا ، بيد ان الخوف – مع ذلك – عصف بسكينتها – فنهضت واقفة ، و سارت فى الصالة الى غير ما هدف و قد وقر فى عقلها ان تخفى الصورة فى مكان أمين حتى تسكت تلك الريح العاصفة من الالم التى عصفت بأمنها و ارعشت اعماقها ، و اهتز قلبها هائجا .... لقد وقعت الواقعة و قضى الامر ...و لا فائدة ، و رأت اباها بعينيها الزائغتين يجلس على المكتب ، و لم تلحظ عيناها – بعد ذلك – اذا كانت يمناه تكتب ، او تمسك بالصورة ، و ارتدت الى المطبخ بجزع هائل ، و جلست بتراخ ويداها ترتعشان جميعا ، و صارت تحملق فى الزيت الساخن . و قطع البطاطس البيضاء التى تهبط فى أتونه و يفرقع منها الزيت ، و كادت تحرق اصابعها أكثر من مرة ....فهتفت من أعماقها متألمة :

- آه يا رب ....لماذا فعلت ما فعلت ؟

و طفقت تدعو ربها الا ينكشف أمرها ، و صارت تعد الكلمات فى نفسها لتقابل بها اختها بعد ذلك ، و اخذ خيالها المحموم بالفزع يتخيل مجىء أختها و ما سوف يحدث لها و هى من تعرف اباها عند الغضب

- اجل انا اعرفه فهو رجل عنيد ، عصبى المزاج ، لا يمكن التفاهم معه ابدا و اذا اصر على شىء فهو يصر عليه بعناد و اصرار ، اغلب الظن انه سيقسم الا تذهب ابدا الى المدرسة و ربما زوجها لاول قادم حتى و لو لم يكن ندا لها ...هذا اذا لم يحدث بالطبع شىء اخر

و احست بالرهبة تسرى و تلدغها فى كيانها كالكهرباء و لم تدر ماذا تفعل بل كل ما هنالك انها راحت تدعو الله من كل اعماقها الا يعرف ابوها ، انها كانت تتستر على اختها ، و ترشدها بنصائح الحب و ارشاداته

اما (احسان) فكانت تخشى امرها تماما وودت من صميمها لو مرت الحوادث هادئة دون ان تعلم شيئا عما فعلته و قالت فى دخيلتها مخادعة :

- طبعا لابد لابى ان يعرف ، فهو وحده الذى يستطيع شفاءها من حبها المريض اما انا فقد نصحتها فى اول الامر و لكنها لم ترعو ، و من يدرى ربما يتطور الامر فتخرج من تجربتها محطمة شر تحطيم ، و هى شقيقتى على كل حال ، و امرها يهمنى كأخت كبيرة لها ، و بذلك أكون مسئولة عما حدث لها ...ألست الطرف الثالث فى حكايتها ؟

و صمتت برهة لكنها أحست مع ذلك ، انها لم تخمد صوت الشك فى قلبها تماما

- كان واجبى ان أخبر أبى أو أمى ....و لكن ليست هذه هى الطريقة الصحيحة كما اعتقد ، لقد أخبرت ابى بطريقة غير مباشرة ....و هذا عين الحكمة كما ارى . و ابتسمت ....فتحت فمها ثم اغلقته ، و كأنها تبتسم حقاً ، و عاودتها الرعشة من جديد فنهضت متثاقلة و الخوف يثقل ركبتيها جميعاً ....و بخطوات متلصصة خرجت ، و بحذر شديد نظرت ....فرأت اباها ما زال منحنيا بمرفقيه على المكتب ....فجرت الى مكانها مسرعة خشية ان يراها و قلبها يخفق بين اضلعها خفق طائر ذبيح راحت تسلى نفسها من جديد بالنظر الى الزيت الذى يغلى ، و قطع البطاطس و هى تتلون و تحترق فى اتونه و يبدو ان النظر الى هذه الاشياء جميعا قد ابعدها عن التركيز فى افكارها و لكنها لم تلبث الا قليلا ، حتى نهضت مرة اخرى ، و بخطوات نعمها الخوف و الترقب بصرت بحجرتها من الصالة فلم تر اباها ...كان المقعد شاغرا من ابيها ، فشملها فزع مفاجىء و اسرعت تجلس على المقعد من جديد و قد احست كأن اغماء سيشملها فى التو ، فخفضت من صوت الموقد حتى تهدىء من اعصابها الثائرة و عندما امتدت يمناها ، و اطفأته بعد قليل ، رأت نفسها تسبح فى ضياع عميق ، ماذا عليها ان تفعل بعد ذلك ؟ ....ووقفت برهة تغسل يديها ، و تفكر و لم يسعفها التفكير السديد ، فتشجعت و تماسكت قليلا و خطت الى الصالة و دخلت غرفتها

و نظرت بقلب واجف الى موضع الصورة فلم ترها ايضا ، و فتشت بين الكتب ، و تحتها بيدين عصبيتين ، مرتعشتين فلم تجدها ايضا فاتجهت الى النافذة و اطلت منها ، و بأعصاب مرتخية واجفة ، هتفت من اعماقها :

- يا رب ...اجعل هذه الليلة تمر بخير و سلام ....يا رب

و اغرورقت عيناها بدموع الخوف ، ثم انتابها رعب مفاجيء ، فماذا لو دخل عليها ابوها يستنفر امر الصورة و عندئذ راحت تدير فى راسها حوارا ، خياليا بينها و بين ابيها و اخذت تترقب دخوله بين لحظة و اخرى و بدأت تحادث نفسها :

- لو كان يريد استفسارا ، لنادى على و انا فى المطبخ و لكن .....و لم تدر كيف تفكر
- ربما يدفعها لامى لتتأمل صورة ابنتها .....

وودت لو ترى أباها فى هذه اللحظة ، حتى تهدأ اعصابها فأرهفت اذنيها ناحية الباب ، تتصنت فلم تسمع شيئا فتشجعت قليلا و أطلت برأسها فى حذر حاذر فلم تر شيئا ايضا فتشجعت اكثر ووقفت فى الصالة ، فلمحت اباها يجلس فى الشرفة ساهما كعادته حين يهمه التفكير فى شيء ما ، بينما جلست امها على الاريكة ترفو شيئا فى يدها ، و اطمأنت قليلا ، و تراجعت ، ودخلت غرفتها هادئة الاعصاب ، تبتسم لنفسها :

- يا خبر لماذا انا خائفة ، و هل هى صورتى حتى تتحطم اعصابى على هذا النحو و هل انا التى أحببت ؟

و تماسكت أكثر و قالت تحادث نفسها :

- لو فرض مثلا ، و جاءنى ابى و سألنى لقلت اننى لا ادرى عن الموضوع شيئاً و لانتهى الامر

و مرت الدقائق عليها ثقيلة كما الصخور ، بطيئة كالدهور و تاقت نفسها الى الهروب : بالنوم او بالخروج و من ثم استلقت على سريرها و راحت تنظر السقف فى شرود هائم ، و لكنها مع ذلك أحست بأنياب السأم من جديد تقضم روحها فنهضت متثاقلة و راحت تعيد تنظيم بعض الاشياء فى غرفتها ، بيد انها لم تلق فى ذلك ايضا عزاء ، لاعصابها المشدودة فأخذت تتسلى بالنظر الى الشارع المزدحم ، و اخذت تنظر الى كل شيء فيه بعينين زائغتين لا تبصران شيئا ابدا و طالت وقفتها دقائق كثيرة و هى مستندة بمرفقيها على قاعدة النافذة . نظرت الى السماء . فرأت العتمة تنزلق واهنة ، صامتة على افق الشرق القريب ، و تبتلع كالمجهول بعض المدينة البعيدة ....هزت راسها لقد حل المساء و اوشكت " احسان ان تعود " ....و نفخت فى ضيق و اعتمدت راسها بكفها محزونة

كان ضجيج العربات ، و صوت مذياع المقهى التى تقع امامهم مباشرة يملأ الجو بضوضاء سخيفة ...لم ترنح له نفسها كثيرا ....و تبعثرت الاحداث فى راسها ، فراحت تفكر فى اشياء

كثيرة فى وقت واحد ، حتى تنبهت على صوت جرس الباب الذى تتابعت زناته فى جلجلة مثيرة فأجفلت و قالت فى نفسها (انها هى) ...ثم جرت الى الباب تفتحه هاتفة :

- طيب ....طيب

٤

و فتحت الباب ، فاندفعت اليها احسان فى فرح غامر ظاهر و الابتسامة السعيدة ، تستقر على شفتيها فى سرور طاغ ، و مدت راحتيها فى سعادة تربت وجنتى اختها فى رقة حبيبة بينما وقفت هذه ساكنة ، شاردة تعالج على فيها ابتسامة شاحبة ، محزونة لم تلحظها احسان بين مرحها الهائل و عتمة الماء و برز ابوها فى غرفته و كأن الارض انشقت عنه فجأة و نادى بصوته الجهورى الاجش

- احسان .....تعالى هنا
- حاضر يا بابا

و مدت يسراها فى مداعبة مرحة ، وقرصتها فى ردفها و انفلتت برشاقة تسرع نحو ابيها الذى وقف فى غرفته متحفزا ، و ارتبكت فوزية فى هلع خائف كنبت تتلاعب به الرياح ، و اسرعت تدخل المطبخ دون ما هدف واضح فى ذهنها، بينما ظلت خطوات اختها المنتظمة الرشيقة تتابع فى اذنيها عبر الصالة حتى تلاشت تماما ...و حدثت نفسها متنهدة :

- آه ...لقد انفجرت القنبلة ...النجدة يا رب ....النجدة ....

و سمعت اباها يقول لها فى نبرات تتفجر بالوعيد :

- اقفلى باب الشرفة

و سمعت فى نفس الوقت صرير باب الغرفة يغلق فى عصبية شديدة فأدركت فى التو ان اباها يحوطها بأبواب مغلقة حتى تنال جزاءها العادل . فخرجت الى الصالة متلصصة فرأت غرفة أبيها قد اغلقت فعلا كما حذرت فى نفسها ، و سمعت ....فتمتمت فى هدوء ساخر و البسمة السعيدة ترف على شفتيها

- تلقى الجزاء يا ست احسان .....و اذا اردت الحب ، فلتحبى بإذن الاسرة

و استوقفتها كلمات مرعدة من ابيها :

- يا مجرمة ...يا قذرة ....

و سمعت بعد ذلك صوت أمها الجازع الهالع :

- لماذا فعلت ذلك يا بنتى ؟

ثم تعالت صيحات ابيها بكلمات سريعة غضبى ، لحقتها فى التو ، اصوات استغاثة صارخة ، و انين و نشيج حزين ، ثم سمعت كوبا يتحطم بقوة ، و فتح الباب فجأة فى ثورة هائلة أشبه شىء بالانفجار فتوارت فوزية خلف غرفتها و تعالت الضجة اكثر مما سمعت و جرت احسان فى الصالة مهوشة الشعر ، تبحث بعينيها عن ملجأ يحميها أو شىء تختبى فيه ، و دموعها تتساقط بغزارة فى نشيج عنيف و رداؤها الازرق الجميل قد قد من دبر ، فبان قميصها النايلون الابيض و أظهر ساقيها الرقيقتين ، و لحقها أبوها و عندئذ أمسكها يشدها من شعرها ، فأختل فى التو توازنها ، و انطرحت على وجهها بقوة جسدها فأنبثق الدم غزيرا من أنفها ، فغطى فمها و ذقنها و سال على نحرها خيوطا سائلة متتابعة فبلل قميصها ، و رداءها بينما كانت يداها تضربان فى الهواء كالغريق بين الامواج ....و تصرخ فى بكاء مكلوم :

- سامحنى يا بابا ....انا اسفة و النبى ....(أبوس رجليك) يا بابا ....عمرى (ما انا) خارجة مرة ثانية .....انا غلطانة ....غلطانة و النبى ....اتركنى فى (عرضك) يا بابا ....

كان المنظر مثيرا ، و حزينا ، بينما ظل ابوها يشد شعرها و يلطم رأسها بجمع يده و يركل ظهرها ، و ساقيها ركلات مجنونة على حين وقفت امها فى ذعر هالع ، تدق على صدرها فى جزع حزين ، و دموعها تنهمر من عينيها و لا تستطيع حراكا خوفا من بطش زوجها و عصبيته ....و كانت فوزية تقف فى مدخل غرفتها و لا تتكلم و تشاهد المعركة دون حراك

صرخ الرجل فى غيظ متأجج و قد نال منه الجهد تماماً ، فحرر قبضته من شعرها بعد ما تعلقت فى يده خصلة كبيرة من شعرها الجميل كان قد انتزعها من رأسها :

- على الطلاق بالثلاثة من بيتى ....عمرك (ما أنت) داخلة المدرسة و لا اى مدرسة بعد اليوم ....الاعدادية حصلت عليها ....عظيم كل (الحلل) فى المطبخ تنادى عليك بالغسيل ....

ثم دهمه سعال مفاجىء ، فراح يسعل بشدة

- الله ينكد عليك ، و يلعنك فى كل كتاب يا مجرمة

و قاطعه السعال من جديد ، حتى اذا خفت حدته ، قال مهددا :

- المريلة ساقطعها ، و الكتب كذلك ....و كل ما يخصك للمدرسة ....و لا مدرسة بعد اليوم انت فاهمة يا فاجرة

- ثم اندفع كما الثور الهائج الى غرفتها ، فتنحت له فوزية عن طريقه ، و خرج بعد دقائق يحمل حقيبتها ، و كراساتها ، و كل كتبها التى كانت على المكتب و مريلتها ايضا ، و راح يعمل فيها التمزيق و التقطيع امام بصرهم جميعاً ، و كأنه غول خرافى قد مسه الجنون ،

بينمـا كانـت احسـان ترنـو اليـه فـى خـوف ، و غضـب و قـد انكمشـت علـى نفسـها ، و دموعها تهطل من عينيها بغزارة .

٥

و كانت ليلة رهيبة ، لـم تشـهدها عيناهـا قـط ....كانـت فيهـا الـدموع و الاحـزان و الغضـب و اليأس و الكراهيـة ، أصـدقاء ليلتهـا التعيسـة ، و عنـدما جمعهمـا المسـاء الحـزين ، سـألت اختها بين دموعها :

- من دله على مكان الصورة يا فوزية ؟
- أنت يا احسان
- انا ....مستحيل !!

قالتها فى ذلة و استغراب :

- نعـم ....هـل كنـت تعتقـدين ان صـورة خطـرة مثـل هـذه مكانهـا الصـحيح تحـت الكتـب و الكراسات ....دون ان تأخذى حذرك لاى موقف تتعرضين له
- لقد كنت اريها لك يا فوزية
- ليكن ....لقد كان الواجب .....يحتم عليك ان تخبئيها فى مكان أمين
- آه صحيح ....حظى يا فوزية ....نسيتها ....ماذا أفعل ؟ ...لا ينفع – كما يقال
- حذر من قدر

ثم سكتت قليلا و مسحت دموعها ، و استطردت :

- و لكن كيف راها بابا يا فوزية ؟
- كنـت يـا سـت اقلـى البطـاطس فـى المطـبخ ، حينمـا دخـل يكتـب خطابـا لاخيـك فـؤاد ....و لكنى لاحظت و انا امضى فى الصالة انه يفتش بين الكتب ....فقاطعتها بحزن مرير :
- ألم تستطيعى ان تخبئيها فى مكان أمين يا فوزية ؟
- عجبا لك يا احسان ...اعرف انه سـيدخل غرفتنـا و لا اخبئهـا ....يـا ليتنـى كنـت اعلـم ، فمـا كـان ذلك ليحدث ابدا ....و لكن .....

و تنهدت من اعماقها كمن تأسى على شىء عظيم ، و استطردت تقول فى هدوء :

- و لكـن – بينـى و بينـك – عنـدما شـاهدته يـدخل الغرفـة ....انتـابنى خـوف حقيقـى ، فقـرأت الفاتحة و دعوت الله ان تمر الليلـة بخيـر و سـلام ..... و حـين لاحظـت انـه يقلـب بـين الكتـب (ركبى سابت خالص) و قلت فى نفسى : لقد ضعنا سويا ....

فقالت احسان فى حزن قانط :

- انت ....لا ....انا التى ضعت وحدى ....انا وحدى فقط التى ضعت دون رحمة

و بدأت دموعها تهطل من جديد

- (ما علهش) ....يا احسان ....بابا طيب و ابن حلال
- لا ....ابدا ....بعد تقطيع الكتب و المريلة تعتقدى اننى سأذهب الى المدرسة بعد ذلك .....مستحيل ....أنا عارفة بابا (كويس)
- و اهتز جسدها فى نشيج حاد ، و احست بكل أحزان الدنيا تتجمع فى قلبها الصغير حتى ودت من صميمها أن تموت ....و فاض فى قلبها شعور جارف بالاسى و الكراهية لابيها و امها و اختها و كل اسرتها بل و كل العالم و من بين دموعها قالت فى صوت مسحوق :
- يعنى لن اخرج و اقابله بعد ذلك يا فوزية

فقالت فوزية تنهرها فى ضيق :

- يا سلام يا احسان انت عجيبة جدا (انت فى ايه و اللا فى ايه دلوقت) ....
- صحيح ...انا (فى ايه ، و اللا فى ايه دلوقت)

و راحت تبكى من جديد

٦

و مرت بعد ذلك ايام كثيرة ، مضت بطيئة اسية و هى تحفر فى قلبها ابارا من الحزن و الالم حتى كرهت كل حياتها و لم تحس لها معنى و عندما كانت تهب عليها ذكرى الحبيب تروح تختبىء فى مكان ما ، ثم تنشج نشيجا هائلا و كانت كلما تذكرت اخاها فؤاد و حدبه عليها تتملكها رعشة مفاجئة و تدمع عيناها و كانت تقول فى نفسها حينئذ :

- سيعرف حكايتى حتما و سوف يحتقرنى و يكرهنى .....آه .....يا رب

و تعود تبكى ....حتى اذا كان الصباح جاءت امها تتضاحك و قالت توجه الخطاب لها و لاختها و كانتا فى المطبخ :

- (بنات) .....(اخوكم) فؤاد سيحضر فى المساء

و رفرف قلبها فى صدرها متألما كالذبيح و هتفت من أعماقها قانطة :

- يا رب

و قالت فوزية فى مرح سعيد و كانت تحب أخاها :

- صحيح يا ماما

- لقد أخبر أباك فى المساء بقدومه بالتليفون و لكن أباك نسى ان يخبرنى فأخبرنى فى الصباح

ثم سكتت هنيهة و استطردت مبتسمة :

- و هو يحب أكل (الفراخ) كما تعلمين

فقالت فوزية فى سرور :

- اكله المفضل انا اعرف الناس به
- طيب ....و النبى يا فوزية .....اطلعى الان و اذبحى أكبر و احســـــــــــن (فرخة) فوق ....

فقالت فوزية فى سرعة :

- (احسان) يا ماما ....احسن (فرخة) فوق ....سمينة و تكفى و زيادة ....
- اطلعى و اذبحيها و النبى يا فوزية

أمسكت فوزية أختها . قالت لها فى تمثيل مرح و هى تنغم كلماتها :

- طبعا لا تعرفين كيف تذبحين الدجاج ....أما أنا أستاذة

فهيا معى حتى أعلمك كيفية ذبح الدجاج

* تمت *